شمامسة كنيسة العذراء بعين شمس بالقاهرة
المحاضرة بدير القدِّيس أنبا مقار
الخميس ١٢ سبتمبر سنة ٢٠١٩م

التئام الجماعة بتمامها شرطٌ لبدء القُدَّاس الإلهي

تمهيد

نعرف من رسالة القدِّيس بولس الرَّسول الأولى إلى أهل كورنثوس[١]، وأيضاً من رسالة بلينوس إلى طرايانوس، ومن شهادة القدِّيس يوستينوس الشَّهيد (١٠٠-١٦٥م)، وغيره من الكُتَّاب المسيحيِّين الأقدمين، أنه في مستهل الخدمة اللِّيتورجيَّة كان يجري الترنُّم بالمزامير والأناشيد مناوبة، حتى تلتئم الجماعة بتمامها.

وإنَّ ما وصل إلينا من الآثار القديمة المكتوبة، يشهد بالإجماع، على أنَّ الاجتماع في الكنيسة كان دوماً المرحلة الأولى والأساسيَّة في إتمام الإفخارستيَّا. فكان اجتماع المؤمنين يسبق دخول رئيس الخدمة. ويقول القدِّيس يوحنَّا ذهبي الفم (٣٤٧ - ٤٠٧م) في ذلك الأمر عن الكنيسة[٢]:

[إنها بيتُنا المشترَك، وعليكم أن تسبقونا في دخولها ... حتى إذا ما دخلناها، نحيِّيكم بإعطائكم السَّلام][٣].

ومن قوانين البابا أثناسيوس الثَّاني (٤٨٩-٤٩٦م) بطريرك الإسكندريَّة في نهاية القرن الخامس الميلادي، نعرف أنه كان على الكاهن ألاَّ يبدأ القُدَّاس قبل أن يجتمع الشَّعب. فيقول (القانون ٤٠): ''لا يقلق أحدٌ من الكهنة عندما يريد أن يُقدِّس قبل أن يجتمع الشَّعب ويسمعوا الليلويا[٤]، لأنه مكتوب أنَّ مجد الملك بين جموع كثيرة، والذي يفرِّق ويبدِّد شعب الله من أجل رضى النَّاس، الله يفرِّقه. من أجل هذا لا تستحي أيها الكاهن من قوم، ولكن طوِّل روحك حتى يجتمع الشَّعب. لأنَّ الإنجيلي متى يقول: لمَّا رأى يسوع الجموع صعد إلى الجبل ليُصلِّي ... فلا يقلق أحدٌ من الكهنة في قُدَّاسه، حتى يُكمِّله بهدوء''.

ويدلُّ على ذلك، القانون السَّابع والتِّسعون من القوانين الكنسيَّة المصريَّة المنسوبة للقدِّيس باسيليوس الكبير، حيث يقول: ''إذا ابتدأوا أن يصنعوا الأسرار، فلا يكن ذلك بقلق. وليأخذوا بترتيل المزامير إلى أن يجتمع الشَّعب''.

حضور الشَّعب للقُدَّاس الإلهي إلزام من الله

كان تغيُّب المسيحيِّين عن الاجتماع الإفخارستي في مفهوم الكنيسة الأولى، تقطيع لأعضاء المسيح، وحرمان جسد المسيح من أعضائه. فتقول الدِّسقوليَّة: ''فلا تكونوا خارجاً عن اجتماع الكنيسة، ولا تتفرَّقوا من أنفسكم، لأنكم أنتم أعضاء المسيح، لأنه هو رأسُنا كوعده الذي وعدنا به وهو كائن معنا ومشاركنا. فلا تتكاسلوا أنتم، ولا تقطِّعوا أعضاء مخلِّصنا''.

لاحظ هذا التَّعبير الشَّديد! فالمسيحيُّون لم يكونوا يتأخَّرون عن حضور اجتماع الكنيسة أبداً، بل يجتمعون إليها كلَّ حين، لئلا تضعف الكنيسة بقيامهم خارجاً عنها، أو بتركهم جسد المسيح تُعوزه أعضاء منهم.

١- ١كورنثوس ١٤:٢٦

٢- الأب ألكسندر شميمان، الإفخارستيَّا سرُّ الملكوت، ترجمة سامر عبُّود، منشورات النُّور، ١٩٩٣م، ص ٢٣

3- *PG* 57, 384.

٤- هو لحن أللِّي القُربان.

فيا له من مفهوم رهيب حقًّا، أنَّ الذي يغيب عن الكنيسة، يحرم جسد المسيح من أحد أعضائه. فالذي يغيب عن الكنيسة لا يخطئ في حق نفسه فقط، بل إنه يخطئ في حق المسيح، لأنه يقطِّع جسد المسيح ويحرمه من أحد أعضائه، ويخطئ أيضاً إلى الكنيسة، ويجعلها تضعف بقيامه خارجاً عنها. فجسد المسيح لا يتكامل إلا بحضور الكُل.

الانفراديَّة الرَّديئة التي أصابت العصر الحديث، لم تكن موجودة على الإطلاق في الكنيسة الأولى. فقد كان لدى الجميع إحساسٌ مشترك، بأنهم أعضاء في جسد واحد. كلُّهم أعضاء للمسيح، والذي يغيب يخطئ إلى الكنيسة. وعلى الكنيسة أن تسأل عنه لماذا لم يأت؟ وهذا ما نقرأه في أخبار الكنيسة الأولى: ''مرَّة جيء إلى الإسقيط بقليل من التِّين فاقتسمه الرُّهبان فيما بينهم. ولأجل أنه شيء ضئيل، استحوا أن يرسلوا إلى أنبا أرسانيوس شيئاً قليلاً وذلك لجلالة منزلته. فلما سمع الشَّيخ، امتنع عن المجيء إلى الكنيسة وقال: [أفرزتموني من الإخوة، ولم تعطوني من البَرَكَة التي أرسلها الله، كأني لستُ أهلاً لأن آخذ منها. ولوجه آخر، نسيتموني بسبب كبريائي ...]. فانطلق القس، وأتاه بنصيب من التِّين ففرح، وجميعهم سبَّحوا الله، وجاء معهم إلى المجمع''.

كان على الكاهن أن يمر على المتغيِّبين لكي يطمئن عليهم. وكان الاجتماع الإفخارستي لا يبدأ إلاَّ حينما يحضر جميع الإخوة، ويطمئنون على مصالحة جميع الإخوة لبعضهم البعض، كما تقول الدِّيداخي، وكما تعلِّم قوانين البابا أثناسيوس الثَّاني (٤٨٩-٤٩٦م) بطريرك الإسكندريَّة. هذا هو بنيان الكنيسة.

الشَّعب عنصر أساسي في تكميل الإفخارستيَّا

حين تلتئم كلُّ الجماعة حول المذبح لتقيم الإفخارستيَّا برئاسة أُسقُفها حسب وصيَّة الرَّب، فهي الكنيسة كلُّها بكلِّ أعضائها، بحضرة المسيح، وملائكته المقدَّسين.

فاللِّيتورجيَّا كخدمة كنسيَّة، ليست خدمة كهنوتيَّة يؤدِّيها رجال الإكليروس للعلمانيِّين، وكأنهم جُعلوا ليلبُّوا الحاجات الرُّوحيَّة للمؤمنين فحسب. أو بمعنى آخر فالكاهن لا يُقيم الذَّبيحة الإلهيَّة نيابة عن العلمانيِّين، وكأنَّ العلمانيِّين غير مشاركين في هذه الخدمة الإلهيَّة مشاركة حقيقيَّة.

ويؤكِّد على ذلك العالم اللِّيتورجي المدقِّق جريجوري دكس G. Dix (١٩٠١-١٩٥٢م) حيث يقول: كلُّ الصَّلوات الإفخارستيَّة بدون استثناء، تُعبِّر من حيث تركيبتها الحواريَّة، عن المشاركة في إتمام الخدمة بين رئيس الخدمة والشَّعب. فالجماعة تختم كلَّ صلاة من الصَّلوات الإفخارستيَّة بعبارة ''آمين''، إحدى أهم الكلمات في اللِّيتورجيَّا المسيحيَّة، التي تُصهر شعب الله ومن يرأسه، في بوتقة واحدة(٥).

إنَّ الحوار الذي يجريه الكاهن مع الشَّعب، يأتي دائماً بصيغة الجمع؛ ''السَّلام لجميعكم - الرَّب مع جميعكم - ارفعوا قلوبكم ... إلخ''. كما أنَّ كلَّ نداءات الشَّماس تأتي بصيغة الجمع أيضاً. لأنه كيف يقول الشَّماس: ''قبِّلوا بعضُكم بعضاً بقُبلة مقدَّسة'' إن لم تكن الجماعة كلُّها ملتئمة في الكنيسة حول المذبح؟

وفي أوشيَّة الاجتماعات وهي أوشيَّة سحيقة في القِدَم، يأخذ الكاهن المجمرة بيده، وعند قوله: '... أمَّا شعبك فليكن بالبَرَكَة ألوف ألوف وربوات ربوات ...'، يلتفت إلى الغرب، ويعطي البَخور للإكليروس والشَّعب. فإن التفت إلى الغرب ولم يجد في الكنيسة سوى واحداً أو اثنَين، فهل نقول كلاماً مُفرغاً من معناه؟

إنَّ مشاركة العلمانيِّين في الإفخارستيَّا في أيامنا هذه، قد تحوَّلت إلى حضور سلبي. فغيرهم يحتفل عنهم بالقُدَّاس الإلهي. ويقول الأب ألكسندر شميمن: ''في حين كانت الحدود التي تفصل هذا العالم عن الكنيسة تضُم العلمانيِّين فيما مضى، فهي

٥- الأب ألكسندر شميمان، مرجع سابق، ص ٢٥

اليَوم تُقصيهم عنها خارجاً ... إنَّ التَّسمية السَّابقة (للعلمانيِّين هي) Laikos وتعني أفراد شعب الله أي ''الشَّعب الذي اقتناه الله'' (١بطرس ٢:٩)[٦].

من أجل ذلك نجد اليَوم أنَّ أبواب الكنيسة مفتوحة طوال إقامة الذَّبيحة الإلهيَّة، فيخرج من يخرج، ويدخل من يدخل في أيِّ وقت. ونسى العلمانيُّون – وحتى الكهنة أيضاً – أنَّ الإفخارستيَّا هي اجتماع مُغلق للكنيسة، وأنَّ الجميع في هذا الاجتماع من كبيرهم إلى صغيرهم مُكرَّس، وأنَّ الجميع يحتفل كلٌ في مكانه، في العمل اللِّيتورجي الواحد للكنيسة. أي أنَّ الكهنة ليسوا هُم وحدهم الذين يخدمون الذَّبيحة، ولا حتى الكهنة مع العلمانيِّين، بل هي الكنيسة التي يؤلِّفونها كلُّهم معاً مجتمعين، والتي يعلنون ملأها بحضورهم. إنَّ الكنيسة هي التي تحتفل ...[٧].

لقد قلتُ مراراً وتكراراً إنَّ صلاة القُدَّاس الإلهي، ليست من أجل تقوى شخصيَّة أو مزاج خاص أو انفراديَّة رديئة، كأن يتمِّمها الكاهن ومعه واحد أو اثنَين بمعزل عن الجماعة. الكاهن لم ينل نعمة الكهنوت من أجل ذاته بمعزل عن الشَّعب وخدمته، لأنَّ القُدَّاس الإلهي هو شركة الأعضاء جميعاً أي الكنيسة، مع الرأس الذي هو المسيح. وهذه هي الإفخارستيَّا، وهذه هي غايتها كما في قول القُدَّاس الإلهي: ''اجعلنا كلَّنا يا سيِّدنا مستحقِّين أن نتناول من قُدْساتك تقديساً لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا، لكي نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً ...''. هذه هي غاية الاجتماع الإفخارستي.

نلاحظ في الطِّلبة السَّابقة، أننا نطلب من أجل أمرَين نحصل عليهما بالتَّناول من الأسرار المقدَّسة: ''تقديساً لنفوسنا وأجسادنا وأرواحنا''، و:''لكي نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً''. هذا يعني أننا نتناول من أجل غايتَين هما القداسة والوحدانيَّة. فمن أين أتت الكنيسة بهذا المفهوم؟ ولماذا نرى الكاهن بعد تقديس القرابين مباشرة، يطلب هذَين الأمرَين، أي القداسة والوحدة، قبل أن يطلب أي شيء آخر؟

ذلك لأنَّ هذا هو نفس ما فعله الرَّب بعدما أسَّس سرَّ التَّناول، إذ بدأ يُصلِّي قائلاً: «قدِّسهم في حقِّك». كما قال أيضاً: «ليكون الجميع واحداً ... ليكونوا واحداً فينا» (يوحنَّا ١٧: ١٧-٢١). وهذا يؤكِّد لنا، أنَّ غاية القُدَّاس الإلهي هي تقديس الجماعة ووحدتها. هذا هو القُدَّاس.

اقتدار الأواشي يكمُن في مشاركة الكنيسة كلِّها فيها

منذ البداية كانت المردَّات التي يردِّدها الشَّعب، ويؤمِّن بها على الطِّلبات – أو الأواشي كما نسمِّيها في الكنيسة القبطيَّة – ذات أهميَّة بالغة. فالقدِّيس يوستينوس الشَّهيد (١٠٠-١٦٥م) يدعو هذه الأواشي، باسم: ''صلوات عامة – Κοιναὶ εὐχαι''. ويرى العالم اللِّيتورجي الألماني الشَّهير أنطون بومشتارك A. Baumestark أنَّ هذه التَّسمية ربما تعني، أنَّ الشَّعب كلَّه كان يردِّد معاً صيغة الطِّلبة أو الأوشيَّة، أو أنَّ الشَّعب كان يردِّدها جملة جملة بعد الرَّئيس[٨]. وعلى كلِّ حال، فإننا نعرف أنَّ الطِّلبات أو الأواشي قد تثبَّتت كمشاركة حتميَّة بين مترئس الصَّلاة وبين الشَّعب الذي يجيب ويؤمِّن عليها بمرد سحيق في القدم هو ''آمين''، أو ''كيرياليسون – ياربُّ ارحم''.

إنَّ قوَّة الأوشيَّة أو الطِّلبة واقتدارها في الدُّخول إلى عرش النِّعمة لتنال استجابتها الفعليَّة تكمُن في مشاركة الكنيسة كلِّها فيها. فالكنيسة كلُّها تطلب وتتوسَّل. وهنا لا يكون الكاهن نائباً عن الشَّعب في الطِّلبة، أو بديلاً له. فربما يُصلِّي بلسان الشَّعب في بعض الصَّلوات، ولكن على مسمع من كلِّ الشَّعب، الذي يؤمِّن على صلاة الكاهن بمشاركة حيَّة، لتكون الصَّلاة في النِّهاية، هي صلاة كلِّ الكنيسة. هنا تبلغ الصَّلوات منتهى قوَّتها، وهنا تُستعلَن الكنيسة في كامل حقيقتها.

٦- الأب ألكسندر شميمان، مرجع سابق، ص ٣٤٠
٧- نفس المرجع، ص ١٢٩

8- A. Baumstark, *op. cit.*, p. 75.

وهناك خاصية أُخرى، تميِّز التَّطوُّر المبكِّر لهذه الأواشي أو الطِّلبات، وهي الدَّعوة إلى الصَّلاة التي تسبقها، أي دعوة الشَّعب للمشاركة فيها. وكانت هذه الدَّعوة في البداية هي الواجب المنوط بالأُسقُف أو الكاهن، فهي مسؤوليَّته الأساسيَّة في دعوته للشَّعب لمشاركته في الطِّلبة والتَّوسُّل. وفيما بعد، وفي الشَّرق المسيحي، انتقلت هذه الدَّعوة للصَّلاة، إلى الشمَّاس.

أمَّا بالنسبة لجموع المشتركين في هذه الصَّلوات، فقد كانت مشاركتهم في البداية المبكِّرة لنشأة اللِّيتورجيَّة قليلة، أي أنَّ عدد مرَّات المردَّات التي يشارك فيها الشَّعب كانت أقل ممَّا هي عليه الآن. وكانت هناك صلاة صامتة بعد كلِّ دعوة لهم بالصَّلاة في كلِّ أوشيَّة أو طلبة من هذه الطِّلبات. وفي أيام التَّوبة والتَّذلُّل، كان الرُّكوع على الرُّكبتين Genuflexion يصاحب هذه الدَّعوة للصَّلاة. ولكن يبدو لنا أنَّ الأصل الأوَّلي لهذا الرُّكوع – أو للسُّجود أيضاً – كان صامتاً Silent prostration وهو ما كان متَّبعاً عادة في الهيكل القديم[٩].

ففي القديم وفي أوشيَّة الملك، حينما يقول الكاهن: ''صلُّوا من أجل سلامة الإمبراطور الكُلي التَّقوى قسطنطيوس''، يرُد الشَّعب في الحال بصوت واحد مجيبين: ''المسيح يحفظ قسطنطيوس''.

ويتَّضح لنا من أوشيَّة الآباء، أهميَّة دور الشَّعب في صلاته من أجل رُعاته، بدءًا من البابا البطريرك، وحتى أصغر رُتبة كنسيَّة. لأنَّ الكاهن يقول: ''أنعم عليهم وعلينا بالسَّلامة والعافية في كلِّ موضع. وصلواتهم التي يصنعونها عنَّا وعن كلِّ شعبك، **وصلواتنا نحن أيضاً عليهم**، اقبلها إليك على مذبحك المقدَّس النَّاطق السَّمائي، رائحة بخور ...''.

فليس الكهنة وحدهم هُم المسئولون عن الصَّلاة من أجل الشَّعب، بل والشَّعب أيضاً مسئول عن الصَّلاة من أجل كهنته. وصلاة هؤلاء وأولئك من أجل بعضهم البعض، هي التي تُكمِّل معنى الكنيسة، كأعضاء أحياء في جسد واحد، هو جسد المسيح. كلُّ الأعضاء تُصلِّي من أجل بعضها البعض، وكلُّ الأعضاء تستمد حياتها وقوَّتها من الرأس الذي هو المسيح، وليس من شيء آخر سواه. وعند المذبح المقدَّس النَّاطق السَّمائي، تنصهر كلُّ الصَّلوات، فتصير صلاة الكنيسة، بخوراً طيباً زكيًّا، هو صلوات القدِّيسين.

إنه من الطَّبيعي أن يُصلِّي الأُسقُف من أجل الشَّعب، بل هذا هو عمله الأساسي والأصيل. أمَّا اقتدار الكنيسة وقوَّتها، فهو في صلاة الشَّعب كلِّه من أجل الأُسقُف. فطلبة الأُسقُف من أجل شعب الكنيسة، تقتدر كثيراً إنْ صلَّى الشَّعب من أجل أُسقُفه. فالسَّلام يملأ الكنيسة، ليس فقط حينما يعطيه الأُسقُف لشعبه قائلاً: ''سلامٌ لجميعكم''، بل أيضاً عندما يعطيه الشَّعب لأُسقُفه قائلاً: ''ولروحك أيضاً''. فمن داخل الإفخارستيَّا يمكن للأعضاء أن تُصلِّي من أجل الرأس.

وفي العظة الثَّانية للقدِّيس يوحنَّا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م) وهي بعنوان: ''غموض النُّبوَّات – l'obscurité des prophéties''، يقول:

> [إن كان أحدٌ بين الجمع، يسأل أيَّ واحد منكم الصَّلاة من أجل سلام الأُسقُف، فسيعتذر معتبراً أنَّ الأمر يتعدَّى قدراته. ولكن عندما نجتمع (في سرِّ الشُّكر)، نسمع الشمَّاس يطلب: ''صلُّوا من أجل الأُسقُف، ليعطيه الرَّب حياة مديدة، ومعونة، مفصلاً كلمة الحق''. فإنكم لا ترفضون هذا الطَّلب، بل على العكس ترفعون للحال صلاة، مدركين قوَّة اجتماعكم معاً. والعارفون يدركون ماذا أريد أن أقول. ففي الحقيقة، إنَّ صلاة الموعوظين ليست لها هذه الفاعليَّة، لأنهم لم يبلغوا بعد هذه الجرأة. ولكن أنتم الذين وُهب لكم أن ترفعوا صلاة من أجل كلِّ العالم؛ من أجل الكنيسة المنتشرة من أقصاء الأرض إلى أقصائها، ومن أجل الأساقفة المكرَّمين، فإنكم تطيعون بحماس، فتختبرون إذاً، مدى اقتدار الصَّلاة التي ترفعونها معاً، كجماعة في الكنيسة][١٠].

9- *Ibid*., p. 75.

10- *De prophetiarum obscuritate* II, 5 (*PG* 56, 182), dans *OCP* (1969), p. 358.

غاية حضور القُدَّاس الإلهي، هو التَّناول من الأسرار المقدَّسة

يقول الأب ألكسندر شميمان (+١٩٨٣م): ''يذكر القدِّيس غريغوريوس النَّاطق بالإلهيَّات (٣٢٩-٣٨٩م) أنَّ الشمَّاس كان يقول: 'ليخرج كلُّ من لا يريد أن يتناول القُدسات'[١١]. عندئذ لم يكن يبقى في الاجتماع الإفخارستي سوى المؤمنين، أي المعمَّدين في الكنيسة، فهم مدعوون جميعاً الآن بالصَّلاة المشتركة، إلى الاستعداد للتَّقدمة الإفخارستيَّة.

لقد ربط المسيح إقامة ذكراه بتناول القُدسات. ومنذ بدء الأنافورا – أي منذ مطلع قُدَّاس المؤمنين – وحتى نهايتها، لا شيء إطلاقاً يشير إلى نوعَين من المؤمنين يشاركان في القُدَّاس الإلهي. لا شيء يشير إلى وجود مؤمنين ينوون أن يتناولوا، وآخرين عازفين عن ذلك. بل على العكس، فإنَّ أي قراءة دقيقة بعض الشَّيء لصلوات الأنافورا، وتلك التي تسبقها والتي تليها، سُرعان ما تُظهر لنا – بعد إخراج الموعوظين – أنَّ الأبواب مغلقة، وأنَّ الإفخارستيَّا تحوي تقدمة الذَّبيحة غير الدَّمويَّة، وأنَّ كلاهما يُعدَّان المؤمنين لتناول القُدسات ...''[١٢].

إنَّ فصل القُدسات عن المناولة، يُضعف السِّر الإفخارستي، إذ لا نعود نرى فيه تحقيقاً للكنيسة، وإعلاناً لملكوت الله، وللحياة الجديدة. فيصير شيئاً فشيئاً مجرَّد تناول 'جوهر مقدَّس'، وكأنَّ السِّرَّ قد تحوَّل إلى نوع من 'معجزة تشريحيَّة'، تعمل فينا عمل السِّحر، على حد تعبير خومياكوف A. Khomiakov . من هنا كان الحائط المسدود الذي تصطدم به كلُّ محاولات شرح الإفخارستيَّا. ويتابع خومياكوف قائلاً: 'كلا الطَّرفين، البروتستانت والكاثوليك، إمَّا ينفيان التَّحوُّل العجائبي لعناصر أرضيَّة، وإمَّا يؤكِّدانه، من دون أن يفهما البتَّة أنَّ العنصر الأساسي لأيِّ سر هو الكنيسة، وأنَّ الأسرار لا تُقام في نهاية المطاف إلاَّ لخدمتها من دون أن تكون لها – أي الأسرار – أيُّ صلة بنواميس المادة على الأرض. فمن يزدري بواجبه في المحبَّة، تَمحي من ذاكرته قوَّتها، ويفقد معها ذاكرته عن الحقيقة في عالم الإيمان' ''[١٣].

لمحة مؤثِّرة من تاريخ الكنيسة

من سيرة البابا شنوده الأوَّل (٨٥٩-٨٨٠م) البطريرك الـ ٥٥ حين أراد العرب شرًّا بالشَّعب وبطريركهم، نقرأ ما يلي:

''... فتقدَّم إليهم (أي إلى الأساقفة) أن يجمعوا سائر الشَّعب إلى البيعة في يوم الأحد ليناولهم من السَّرائر المقدَّسة ليلاً قبل الصُّبح، ويسير معهم إلى أن يوصِّلهم إلى الرِّيف، فقويت نفوسهم. ثمَّ قام في نصف اللَّيل، واجتمع إليه الأساقفة والرُّهبان والشَّعب، وابتدأ بالقُدَّاس. **وبينما هو يطوف بالبَخور على الهيكل** وعيناه تفيض دموعاً بحرقة كما قال عوبديا النَّبي: «بكى الكهنة الذين كانوا يخدمون حول هيكل الرَّب». **وكان يبكي ويقول كما قال النَّبي: «أمهل يارب شعبك ولا ترذل ميراثك هذه الرذيلة، ويسود عليه الأمم، لئلا يقول الأمم أين إلههم؟»**. والآباء الرُّهبان يبكون بحرقة ودموعهم ممتزجة بالأفكار لما يريد أن ينالهم من العرب المفسدين. وتناولوا السَّرائر المقدَّسة قبل الصُّبح. وكان الأب يبكي على خراب البريَّة من الرُّهبان، ثمَّ سرح الشَّعب. وخرج وهو يعزِّيهم. وكانوا يباركون الله وتعجبوا من قوَّة الأب وجسارته، لأنهم ينظرونه مثل موسى النَّبي أمام بني إسرائيل. فبصلاته وطهارته نجَّا الله الشَّعب من أيدي العرب ذلك اليَوم''[١٤].

11- *PG* 77, 233.

١٢- نفس المرجع، ص ٣٤١

١٣- نفس المرجع، ص ٣٤٤

١٤- تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المعروف بسير البيعة المقدَّسة لساويرس ابن المقفَّع أُسقُف الأشمونين، مطبوعات جمعية الآثار القبطيَّة: المجلد الثَّاني، الجزء الأوَّل، قام على نشره يسَّى عبد المسيح، وأسولد برمستر، القاهرة ١٩٤٣م، ص ٣٨، ٣٩